تاريخ الفلسفة
٥٧ هيجل
بقلم الدكتور آرثر هولمز من كلية ويتون

حسنًا، سنبدأ إذًا بقراءة هيغل .لستُ ساذجًا لدرجة أن أتوقع أنك قد قرأت هيغل بالفعل بما أنك أجريتَ امتحانًا للتو .لكنك ستجد أن هيغل، عندما تستوعب مفرداته وأسلوبه، سهل القراءة نسبيًا ؛ يبدو مُسهبًا في بعض الأحيان.

هناك كتاب صغير لبرنت بلانشارد بعنوان "حول الأسلوب الفلسفي"، وهو الأسلوب الأدبي، إن صح التعبير، للفلاسفة، يشير فيه إلى أن أشخاصًا مثل جوناثان سويفت وجورج برنارد شو سيقولون إن الرائد أندريه قد شُنق .أما إف إتش برادلي، وهو مثالي بريطاني في مطلع القرن، فسيقول إنه قُتل .بينما سيقول أحد زملائه، بوزنكيت، إنه مات.

كانط سيقول إن وجوده الفاني قد بلغ نهايته .وكان هيغل سيخبرنا أن التحديد المحدود للانهائية قد تم تحديده بشكل أكبر من خلال نفيه الذاتي .ولكن إن كنتَ مُنصتًا، فقد فهمتَ في تلك العبارة الأخيرة حول معنى القول بأن الرائد أندريه قد قُتل، تعبيرًا عن جدلية هيغل.

استمع إليها مرة أخرى .تحديد محدود للانهائية .نعم، اللانهائي، المطلق، الوجود الشامل.

الآن، تحديد ذلك بشكل نهائي، هذا فرد .حسناً، الفرضية .إنه موجود.

وقد تعزز هذا الأمر بنفيه .نعم، إن وجوده منفي، مما يضفي مزيدًا من التحديد على ذلك الحدث، وعلى تلك الحقبة التاريخية .لذا، فإن القول بأن شخصًا ما قد قُتل يأتي، كما ترى، مع كل أنواع التداعيات اللاحقة.

وما يفعله هيغل ببساطة هو النظر إلى فكرة مقتل هذا الرجل كجزء من صورة أكبر بكثير .قد يكون الأمر، متعلقًا بالأسلوب الأدبي، لكن من الواضح تمامًا أن الإطار الفلسفي الذي يعمل به يظهر جليًا في أسلوبه .لذا دعوني أبدأ حديثنا عن هيغل بتذكيركم بما قلته في المرة الماضية بخصوص هؤلاء المثاليين الألمان عمومًا.

قد لا أكون واقعيًا، وقد لا أكون غير واقعي لدرجة أن أعتقد أنك قرأت هيغل بالفعل بعد اجتيازك الامتحان، لكنني واقعي بما يكفي لأفترض أنك ربما نسيت ما قلناه عن المثاليين الألمان في المرة الماضية .لذا، دعنا نعود قليلًا إلى تلك النقطة .قلتُ إننا سنحصل على ميتافيزيقا جديدة، هي المثالية المطلقة، حيث يكون كل حدث وكيان فردي تعبيرًا عن العملية الشاملة.

لذا فإن وعيك بذاتك ليس سوى لحظة عابرة في وعي الذات الإلهية .فالذاتية تُمارس حريتها الكاملة وتعبيرها عن ذاتها في سياق التاريخ .وهكذا رأى هيغل، على سبيل المثال، نابليون.

لقد كانوا، في نهاية المطاف، معاصرين .ورأى نابليون على هذا النحو، مجسداً، بطريقة فردية ومميزة، ولكن بطريقة ذات دلالة عالمية، الحركة الحرة والإبداعية لروح ثقافة ما في التاريخ، متجاوزاً كل معارضة في الماضي.

سيادة الروح الإبداعية .من الواضح أن هذا ليس نموذجاً آلياً قائماً على السبب والنتيجة، بل هو نموذج عملية يرى ترابطاً عضوياً بين كل شيء ضمن الكل الشامل.

إذاً، إذا كنا نتحدث عن مكانة نابليون في التاريخ، فإن هيغل سيتناولها على النحو التالي :أن التاريخ كله يتقارب حول ذلك الشخص، ذلك الحدث، وأن التاريخ كله ينفتح من تلك النقطة فصاعداً .لقد أنجب التاريخ نابليون .والحدث النابليوني يحمل في طياته كل التاريخ المستقبلي.

لذا، فهو يصف نابليون بأنه شخصية تاريخية عالمية .شخصية تاريخية عالمية .شخصية يجسد فيها الماضي، وشخصية تحمل في طياتها مستقبلاً واعداً.

إن مفهوم العملية، والترابط العضوي، وحتى المجازات المستخدمة، كلها مفاهيم بيولوجية .لذا، فإن تلك النزعة الوحدوية الميتافيزيقية، والمثالية المطلقة، والمثالية الوحدوية، حيث كل شيء هو روح عاملة، وحرية متفجرة في كل مكان، هي هيغل، الرومانسي بامتياز .الآن، مع أن هذا جانب من جوانب ميتافيزيقاه، إلا أنه، في رأيي، جانبٌ حظي بتقدير أكبر في القرن العشرين، ربما في النصف الثاني منه، أو الثلثين الثانيين منه، مقارنةً بتقديره في بداياته.

إذا اطلعت على مؤلفات هيغل التي كُتبت في الفترة ما بين عامي 1900 و1930 و1940 تقريبًا، ستجد أنه يُصوَّر كعقلاني لا رومانسي .وربما يكون هذا صحيحًا، لكن ليس بالمعنى السائد في القرن الثامن عشر .يُصوَّر كعقلاني لأنه يقول إن العقلاني، بل الواقعي، هو العقلاني، والعقلاني هو الواقعي

إذن، يبدو أنه يقول إن أي شيء تقرره ضروريًا من الناحية العقلانية، فهذه هي طبيعة الواقع، وهو ما يبدو عقلانيًا للغاية .لكن ما الذي يقصده بهذا القول؟ هذا هو السؤال .ما الذي يقصده بهذا القول؟ إنه يقصد أن الواقع هو تجلٍّ إبداعي، فكل ما هو واقعي هو تجلٍّ إبداعي، عفوًا، حتى أنني أخطأت في كتابة الكلمة، تجلٍّ .للعقل والروح

هذا هو الواقع .ولذا، فمن الطبيعي أن نقول إن كل ما هو واقعي هو تجلٍّ إبداعي للروح، وهذا يعني أنه، بهذا .المعنى، عقلاني بقدر عقلانية الروح .الواقع عقلاني

،والقول بأن العقلانية حقيقية يعني ببساطة أن مقولات الفكر التي تُنظّم التفكير الإبداعي والنشاط الإبداعي هي أيضاً مقولات للواقع، وهو ما كان يعتقده أرسطو .فعندما نتناول منطقه بعد قليل، سنرى أنه يُفصّل .أنواعاً عديدة من المقولات، المقولات المنطقية، التي تُذكّرنا، بطريقة ما، بمقولات كانط

،قال كانط إن مقولات الفكر ذاتية بحتة؛ إنها مجرد مقولات فكر .أما هيغل فيقول هراءً، إنها مقولات واقع .إلا أنه يقول ذلك بالألمانية .كيف انتقل من موقف كانط إلى موقفه؟ حسنًا، هذا ما سنراه

سؤال وجيه بلا شك .لكن تصنيفات الفكر هي أيضاً تصنيفات للواقع .لذا تذكر أن نقطة انطلاق هيغل هي .الروح الإبداعية الشاملة التي تتجلى إبداعاتها بحرية في الحركة المستمرة للتاريخ

هذا هو الموضوع الثاني في فلسفته الميتافيزيقية، ولكن هناك موضوع ثالث .وهذا الموضوع الثالث، بطريقة ما، صدى للفكر اليوناني القديم .فإذا عدنا بالذاكرة إلى حوالي 400 أو 500 قبل الميلاد، أو حتى إلى شهري أغسطس وسبتمبر الماضيين، سنتذكر أنه حتى قبل ظهور فلاسفة ما قبل سقراط، كان هناك إدراك لدى الشعراء اليونانيين مثل هسيود، وإلى حد ما هوميروس وسوفوكليس وإسخيلوس، بأن الكون ككل وحدة منظمة، وأن المجتمع العادل، أو المجتمع المنظم، أو المدينة الدولة، هو عالم مصغر منه، وأن الشخص العادل ذو الحياة الأخلاقية المنظمة هو عالم مصغر آخر منه .وهكذا تتضح لنا فكرة العالم الكبير والعالم .المصغر

والفرد والدولة التاريخية والكون ككل كلها مخلوقة على صورة واحدة .وحدة منظمة .هذا ما يقوم عليه مفهوم .اللوغوس عند الفلاسفة ما قبل سقراط ونظرية المُثُل التي تطورت عند أفلاطون

أتمنى أن تتذكر تلك القصة .حسناً، هيغل كذلك، وهو يستخدم مصطلح "اللوغوس ."يرى هيغل الفرد .كصورة مصغرة للكل

أنت صورة مصغرة للروح المطلقة .أنت على صورة الله .والدولة، وهو يفكر في الدولة القومية لأن هذا هو الرومانسية في القرن التاسع عشر، والدولة القومية هي صورة مصغرة أخرى للكل، مظهر من مظاهر الروح .الخلاقة العاملة في التاريخ

أرأيت ؟ إذن، عندما نصل إلى عمله الرئيسي، "فينومينولوجيا العقل"، نجد أن المصطلح الألماني هو التي تعني "Geist" والذي يُترجم بشكل أدق إلى "روح"، مثل الكلمة الأنجلوسكسونية القديمة ،"Geist" شبح ."في "فينومينولوجيا الروح"، سنجد أن وصفه، بينما يتحدث عن الذات أولًا ، ثم المجتمع، ثم الثقافة" بمعناها التاريخي الشامل، إنما يكشف، كما لو كان، عن هذا التأمل الذهني الذي يتتبع التطور الجدلي للوعي الذاتي .لكنك لا تعرف أبدًا ما إذا كان يتحدث عن الذات فحسب، أم عن المجتمع والوعي الاجتماعي، أم عن .التاريخ وتطوره

،أترى ؟ ببساطة لأن ما يحدث في أحدهما يشبه إلى حد ما ما يحدث في الآخر، وما يحدث في الكل، الفرد ،المجتمع، الكون ككل .لذا، عندما تقرأ ذلك النص عن علاقة السيد والعبد، والذي أعتقد أنه النص الأول ستقول :نعم، هذا يتعلق بكيفية اكتساب الفرد نوعًا من الوعي الذاتي بمكانته في علاقته بـ ...أترى ؟ ولكن ... يمكنك قراءة الشيء نفسه عن كيفية اكتساب الأمة لهويتها الخاصة في علاقتها بـ

أترى ؟ هذه العملية برمتها هي عملية المطلق في التطور الجدلي للأشياء .لذا، تذكر هذا التشبيه باليونانيين القدماء، وخاصةً جانب العالم الصغير والعالم الكبير .والطريقة التي تُنظَّم بها هذه العمليات على المستويين .الصغير والكبير هي دائمًا مُنظَّمة منطقيًا

.أترى ؟ مُرتبةٌ ترتيباً منطقياً .لأن الواقع منطقي .وكل مسارات التاريخ منطقيةٌ بمعناه المنطقي

نعم .ما هو مفهومه للعقلانية؟ حسنًا، هذا ينقلنا، بالطبع، من ميتافيزيقاه الجديدة إلى منهجية جديدة .إلى .منهجية جديدة

ما شهدناه في القرن أو القرنين الماضيين هو محاولة لإقامة ميتافيزيقا قائمة على البرهان .معرفة قائمة على .البرهان .استدلال استنتاجي

الاستدلال القياسي والرياضي .يبدأ إما بالحقائق البديهية أو بالتعميمات التجريبية .وبالطبع، هذا النوع من .الميتافيزيقا البرهانية هو ما انتقد بشدة كل من هيوم وكانط

وفي الواقع، يتفق هيجل مع نقدهم .فهو لا يسعى إلى ممارسة هذا النوع من الميتافيزيقا البرهانية، ولا يحاول .إثبات أي شيء

بعبارة أخرى، فإن مفهومه للعقل ليس مفهوم البراهين الاستنتاجية، بل هو ما يمكن تسميته بالتفكير، أي .محاولة الفهم

محاولة توضيح أمر ما .في ذلك السياق الذي ساد في القرن الثامن عشر، كان العقل ينطوي على أفكار تُشكّل قضايا وأحكامًا، تُطوّر بدورها في قياسات منطقية .لذا، فإن وحدة الفكر في التراث الفكري منذ ديكارت فصاعدًا هي القضية بحد ذاتها.

الأحكام التي نصدرها .ولأن كانط كان ملتزمًا بذلك أيضًا، فقد سعى إلى إيجاد التصنيفات التي تقوم عليها هذه الأحكام .أما الاختلاف الجوهري عند هيغل، فهو أن هيغل يركز الفكر على العقل، لا على القضية، بل على المفهوم.

المفهوم .المفهوم .هذا فرق كبير.

كما ترى، إذا كنت تفكر من منظور القضايا، فإنك تحاول فهم ما يستلزمه كل قضية منطقياً، ثم تحاول صياغته في قضية أخرى .أما إذا كنت تفكر من منظور المفاهيم، فإنك تحاول توضيح مفهوم ما، واستكشاف العلاقات المفاهيمية.

يُولد مفهومٌ ما مفهوماً آخر بينما يتشعب ذهنك .وأستخدم مصطلح "التشعب "عن قصد، فالأمر لا يسير دائماً في خط مستقيم.

لا يُجدي التجول نفعاً .بل هو أشبه بعملية تجريبية تعتمد على المحاولة والخطأ لاستكشاف مختلف المفاهيم .لذا، عندما تحاول فهم مفهوم معين، كمفهوم الوجود أو مفهوم العدالة، أياً كان، تبدأ بفكرة أولية تتبادر إلى ذهنك.

بمعنى آخر، تبدأ بـ إدراك مباشر .أنت تدرك مفهوماً ما بشكل مباشر .سترى ذلك.

وهذا المفهوم الأولي الذي تبدأ به يتوسطه عملية تأمل تقول له فيها :حسنًا، نعم، لا، كما تعلم، أنت لست راضيًا عنه .ترى جانبًا آخر من الصورة .لذا، هناك عملية لا تقتصر على الوعي المباشر فحسب، بل تشمل أيضًا الوساطة من خلال هذا التأمل المتشعب، كما ترى، للوصول إلى نتيجة أوضح وأشمل، وتصور أكثر وضوحًا.

يبدو لي أن هذا يصف طريقة تفكير معظم الناس بشكل أدق .أليس هذا هو الحال بالنسبة لك؟ هل هو كذلك بالنسبة لي؟ كما تعلم، هناك جانب من جوانب التأمل الذي يرافق المسيرة الجامعية، والذي يمكن اعتباره شبيهاً بذلك .تبدأ بفكرة عامة عن التعليم، ثم تواجه فكرة عن تعليم الفنون الحرة لم تستوعبها من قبل، فتنتقل من مفهوم عملي إلى مفهوم متشدد في الفنون الحرة .

أتعرف؟ ثم يبدو أن هذين الأمرين يتكاملان في ذهنك عند تخرجك، وتبدأ في إدراك جميع إمكانيات نقل المعرفة من تخصص الفلسفة إلى أي مهنة تتخيلها .وهذا صحيح .وهذا صحيح.

نعم، هكذا نفكر .نرتب أفكارنا ونفرزها.

أو، إن شئت، اللعب بالكرات الزجاجية .لكنه يحاول توضيح الأمور .لذا، فهو مهتم أكثر بهذا التصور.

إن عملية التفكير الإبداعي هذه هي جوهر حياة العقل، أليس كذلك؟ إنها جوهر حياة الروح .وتصبح حياتك الخارجية انعكاساً لهذا التصور الداخلي.

إذن، الحياة البشرية هي حياة العقل، حياة الروح .وبالمعنى الألماني، هذا هو جوهر الثقافة .نعم.

الحياة الروحية هي الثقافة .وما يُحتفى به في الثقافة في نهاية المطاف هو الفن والدين والفلسفة .حيث .يُقدّم الفن صورة حسية كوسيلة للتفاعل مع المفاهيم

وتستخدم الأديان الرموز في التعامل مع المفاهيم .أما الفلسفة فهي التي تصل مباشرة إلى جوهر الأمر، أي إلى .تصوره

إذن، العملية برمتها تتجه نحو تلك الغاية .والآن، عند الحديث عن هذه الطريقة الجديدة، لاحظ أمرين .لقد .أطلقتُ على هذه الطريقة الجديدة اسم "الظاهراتية "في المرة السابقة

.نعم .إنها فينومينولوجيا العقل والروح .الفينومينولوجيا هي وصف لبنية اللوغوس

.أترى ؟ علم المنطق هو دراسة .دراسة ماذا؟ دراسة بنية المنطق .بنية المنطق لأي شيء؟ ظاهرة التفكير

.ظواهر حياة الروح .حياة العقل .أترى ؟ إنها عملية وصفية

،إذن، ستحصل على المنهج الجديد، ولكنك ستحصل أيضاً على المنطق الجديد، أي الجدل .أترى ؟ الفرضية .ونقيضها، والتركيب .وعند هذه النقطة يمكننا الانتقال إلى هذا المخطط الذي قدمته لك للتو

.الآن، لاحظ أن هذا المخطط يحتوي على جميع أنواع الثلاثيات .ثلاث نقاط .ثلاث نقاط

وثلاث نقاط داخل كل نقطة من النقاط الثلاث .وثلاث نقاط داخل كل نقطة من النقاط الثلاث التي تقع .داخل النقاط الثلاث الأخرى التي تقع داخل النقاط الثلاث الأولى .تدور عجلات داخل عجلات

.نعم .النقاط الثلاث الرئيسية ، كما ترى، هي أولاً، المنطق .ثانياً، الطبيعة

ثالثًا، الروح .أترى ؟ لا يتضح لك المفهوم إلا عند الوصول إلى الروح .أما ما لديك في المنطق، فهو ليس سوى .البنية المنطقية

.إن شئت، فالشكل هو الأساس .الأشكال التي يتبعها التصور .وكذلك التاريخ

أما في الطبيعة، فما لدينا هو عالم العلوم الطبيعية .هنا نجد المادة الموضوعية التي يتجلى فيها الروح على .مستوى ما قبل الوعي .تذكروا أنني أسميت هذا التدرج، حيث تتفاوت درجات تجلي الروح

حسنًا، انظر إلى المنطق، وسننظر إلى البقية لاحقًا .ستلاحظ أن كل ما يحمل الرقم واحد هو أطروحة .وكل .ما يحمل الرقم اثنين هو نقيضها

.كل ما هو مرقم ثلاثة هو توليفة .حسناً .الفكرة الرئيسية هي ما يُفهم فوراً، ما يتبادر إلى الذهن مباشرة

.النقيض هو المرحلة الوسيطة .أما التركيب فهو المرحلة التي يتحد فيها مع الفهم .أطروحة، نقيض، تركيب

المفهوم الأولي يكون دائماً مجرداً للغاية .ومع نمو الفهم، يصبح أكثر فأكثر واقعية .لذا فهو انتقال من المجرد .إلى الواقعي

وأكثر أشكال التعبير عن الفكر وضوحًا هو الثقافة .حسنًا، دعوني أجرب عرضًا توضيحيًا لنرى إن كان ذلك .سيساعدنا على متابعة ما يفعله .وسيكون هذا بمثابة تمرين بسيط في قراءة ورقة بحثية

هل هذا صغير جدًا؟ بلى، أليس كذلك؟ حركه للخلف قليلًا .هل تريد تعديله؟ هل أصبح أفضل؟ دعنا .نصقله .أجل، أصبح أفضل قليلًا

.حسنًا، كان عليّ تكبيرها .أقصد، تكبيرها .كما ترى، نريد أن نجعل العملية ملموسة

لا، ليس هذا جيدًا ...هذا كل ما في الأمر، على ما أعتقد .حسنًا، تذكر أن قوانين المنطق التقليدية تبدأ بقانون .الهوية .أ =أ .في الواقع، ربما يجب أن أبدأ من هنا وأنتقل إلى القانون الآخر

.لاحظ ما يقوله هناك .عندما تُعتبر مبادئ الجوهر مبادئ أساسية للفكر، فإنها تصبح صفات موضوع مُقترح .ولأنها جوهرية، فهي كل شيء، وحقيقية في كل شيء

.وقد صِيغت هذه القضايا الناشئة كقوانين فكرية كونية .أي قضايا؟ قضايا تُشكّل مبادئ الوجود، جوهره

.ما هو الوجود؟ في مخططك المنطقي، تلاحظ أنك تبدأ بالوجود ثم تنتقل إلى الجوهر .ما معنى أن تكون

.هذا هو الوجود .ما هو عليه .الجوهر

بالمناسبة، من أين استقى سارتر مصطلحه الشهير "الوجود يسبق الجوهر"؟ من هيغل .كما ترى، يستخدم .سارتر جدلية هيغلية

كما سنرى عندما نصل إلى هناك .حسنًا، إذن القوانين الكونية للفكر .وهكذا، فإن أولها، مبدأ الهوية، ينص .على أن كل شيء مطابق لنفسه

أ يساوي أ .من جهة أخرى، ينص قانون عدم التناقض على أن أ لا يمكن أن يكون أ و لا يكون أ في الوقت نفسه .هذه القاعدة، بدلًا من أن تكون قانونًا فكريًا حقيقيًا، ليست سوى قانون للفهم المجرد .تذكر أنني قلت .إنه يأخذ في الاعتبار قوانين المنطق التقليدية .هذا صحيح

.لكن الأمر تافه .كما ترى .تافه، لماذا؟ حسنًا، لأنه لا يهتم بقضية ما، قضية ثابتة، حول واقع ثابت

.في كل لحظة .كلا، إنه لا يهتم بمثل هذه التجريدات المجردة عن الواقع A مساوية لـ A بحيث تكون قيمة

.الواقع عملية .هو تتابع متواصل للأفكار .وفي هذه العملية، لا شيء يبقى على حاله

هذا لا يخالف قانون الفكر، الذي ينص على أن أ يساوي أ في نفس اللحظة .المشكلة هي أنه لا يوجد وقت غدٍ .هو نفسه وقت الأمس .إنه وقت مختلف

.وهكذا، قد يتعامل قانون الهوية مع الفهم المجرد، لكنه لا يتعامل مع التصور الملموس للعملية .كما ترى .لذا، لنعد إلى المسألة الأخرى

الهوية، في المقام الأول، هي تكرار لما كان موجودًا سابقًا، ولكنه أصبح كذلك، من خلال تجاوز طبيعته المباشرة .نعم، إذا نظرت إلى مخطط المنطق، ستلاحظ أنه ضمن الصفة، الصفة المنطقية المؤكدة، تذكر أن .الصفة في المنطق إما إيجابية أو سلبية .ترى، تبدأ بالوجود، ثم تنتقل إلى العدم السلبي

حسناً؟ من الوجود الإيجابي إلى العدم السلبي، إلى توليف الاثنين، إلى الصيرورة .أترى، هل أنا كما كنت .بالأمس، متطابق أم لا؟ نعم .كلاهما واحد

وليس كذلك؟ الأمر سيان .لأنني في طور التكوين .إذن، الهوية هي تكرار لما كان كائناً، وهو الآن في طور .التكوين، لأن حالة الوجود المباشرة التي كانت موجودة قد تم تجاوزها، تجاوز

لقد تم تجاوزه .لذلك، فإننا نتحدث عن المثالية عندما نتحدث عن الهوية .إنه مفهوم مجرد مثالي ليس في .طور التكوين

من المهم التوصل إلى فهم صحيح للمعنى الحقيقي للهوية، ولتحقيق ذلك، يجب علينا الحذر من اعتبارها هوية مجردة تستبعد كل اختلاف .وهذا هو المعيار الأساسي للتمييز بين الفلسفة الرديئة وما يستحق فعلاً أن يُسمى فلسفة .فالهوية، في جوهرها، كمثالية، كمفهوم مثالي لما هو كائن، هي فئة رفيعة من أنماط الوجود .الدينية، فضلاً عن كونها أشكالاً أخرى من الفكر والنشاط الذهني

.إن المعرفة الحقيقية بالله تبدأ بمعرفته كما هو .هويته .هويته المطلقة

ثابت لا يتغير .أترى ؟ هل ينطبق هذا على أي شيء في الزمن؟ هل توجد هوية ثابتة كهذه في الزمن؟ في .التاريخ؟ إن معرفة كل هذا تعني إدراك أن كل قوة العالم ومجده يتضاءلان أمام عظمة الله، لأنه هو الله .هوية ثابتة لا تتغير

،وبالمثل، الهوية بوصفها وعيًا ذاتيًا، هويتي الشخصية، أتذكرون سؤال الهوية الشخصية عند جون لوك وغيره ما الذي يُشكّل هويتي كإنسان؟ الهوية بوصفها وعيًا ذاتيًا، وما الذي يُميّز الإنسان عن الطبيعة، ولا سيما عن الحيوانات، التي لا تصل أبدًا إلى مرحلة إدراك ذاتها كـ"أنا"، أي كوحدة مكتفية بذاتها .لذا، فيما يتعلق .بالفكر، فإن الأهم هو عدم الخلط بين الهوية الحقيقية ، التي تتضمن الوجود وخصائصه المتغيرة والمتطورة .لا تخلطوا بين الهوية الحقيقية والهوية المجردة ذات الشكل المجرد

إنّ جميع اتهامات ضيق الأفق والقسوة وانعدام المعنى الموجهة ضد الفكر من منظور الشعور، كما يفعل بعض الرومانسيين، تستند إلى افتراض خاطئ مفاده أن الفكر لا يعدو كونه ملكة للتحديد المجرد .ويؤكد ،المنطق الصوري هذا الافتراض بوضع القانون الأسمى للفكر :أ =أ .فلو لم يكن التفكير سوى هوية مجردة لما استطعنا إلا الاعتراف بأنه عبثي وممل وتافه .ولا شك أن المفهوم والفكرة أيضاً متطابقان، لكن تطابقهما .يقتصر على كونهما ينطويان في الوقت نفسه على تمييز

حسنًا، أنت تتبع هذا النهج في شرح مفهوم الهوية الملموسة، وهي الهوية القائمة على الاختلاف، بدلًا من الهوية المثالية المجردة لشيء لا يخضع لعملية تغيير .والآن، ولكن بالمثل، انظر إلى ما يقوله عن عدم .التناقض، في الفقرة الثانية .وهذا، معذرةً، هو قانون الوسط المرفوع

الوسط المرفوع .بدلاً من الحديث عن قاعدة الوسط المرفوع، تذكر أن الشيء إما أ أو ليس أ، فلا يوجد خيار ثالث .وبدلاً من الحديث عن قاعدة الوسط المرفوع، وهي قاعدة للفهم المجرد، ينبغي أن نقول إن كل شيء .متناقض

لا في السماء ولا على الأرض، ولا في عالم العقل ولا في عالم الطبيعة، يوجد شيءٌ يُشبه خيارًا مجردًا بين أمرين، كما ينص عليه قانون الوسط المرفوع .كل ما هو موجود ملموس، يحمل في طياته الاختلاف والتضاد .أنا شيء، وأنا في طور التحول إلى شيء آخر

يكمن محدودية الأشياء في عدم التطابق بين وجودها المباشر، أي ما أنا عليه الآن، وما هي عليه في جوهرها. فأنا، كما ترى، لم أصل بعد إلى جوهري الحقيقي، ولا إلى ما أنا عليه من حيث المبدأ .كلنا في طور التكوين.

وهكذا، في الطبيعة غير العضوية، يُعد الأصل في الوقت نفسه أساساً ضمنياً .فهو لا يتسق إلا في علاقته مع نظيره. فالأصل ليس شيئاً يبقى قائماً بصمت في مقابله.

إن إدراك ماهيته المحتملة يتطلب جهداً دائماً .إنه أمرٌ قيد التكوين .التناقض، بهذا المعنى، هو المبدأ المحرك للعالم.

من السخف القول بأن التناقض أمر لا يمكن تصوره .صحيح أنه يمكنك التفكير في كلا الأمرين)أ (و)نفي (في آنٍ واحد، طالما أنهما ينطبقان في أوقات مختلفة أو من جوانب مختلفة .وقد أدرك أرسطو ذلك.

التناقض هو المبدأ المحرك للعالم .من السخف القول بأن التناقض أمر لا يمكن تصوره .الشيء الصحيح الوحيد في هذا القول هو أن التناقض ليس نهاية المطاف.

التناقض يناقض نفسه .تنتقل من النقيض إلى التركيب .إنه مجرد جانب واحد من التناقض.

إذن، النتيجة المباشرة للمعارضة، التي تتجلى في صورة تناقض، هي أساس الوجود .هذا الأساس، الذي يحوي الهوية بالإضافة إلى عناصر مختلفة متجاوزة، مُنفصلة عن العناصر الموجودة في المفهوم المُكمِّل .أطروحة، نقيض، تركيب.

هل هذا واضح؟ هل فهمت ما يقصده؟ لقد قيّد أرسطو نفسه قوانين المنطق التقليدية بقوله" :في الوقت نفسه ومن نفس المنظور ."لذا، من الخطأ الاعتقاد بأن هذه القوانين تمنحك سيطرة مطلقة على عملية متغيرة .إنها تتعامل مع شيء تتصوره بمعزل عن الواقع الملموس.

عندما تفكر في جوهر شيء ما بشكل مجرد، بعيدًا عن عملية تجسيده في الواقع ، يمكنك أن تنظر إلى طفل رضيع ضعيف يصرخ ويبكي، من تلك الأشياء التي تبتلع السائل من طرف وتطلقه من كلا الطرفين باستمرار، وتقول إنه كائن عاقل .حسنًا، أنت تتحدث بشكل مجرد عن جوهر مثالي، من الواضح أنه لم يتحقق بعد.

لكن من الواضح أيضاً، وبما أن ما يسميه أرسطو بالقوة الكامنة، فإن عملية التفعيل جارية في مرحلة مبكرة. فما هو عليه الآن ، في الواقع، يُنفي بما يتحول إليه، ألا وهو تجارة أدوات النظافة، مما يُريح الآباء كثيراً .وتلك الطفولة الساحرة، التي تُناقض مرحلة الرضاعة، ستُتجاوز بطريقة أو بأخرى، بطريقة تُناقض وتحافظ في الوقت نفسه على ما كان عليه الطفل في طفولته المبكرة وما كان عليه في طفولته .بل وأكثر من ذلك بكثير.

الآن، إذا كان كل شيء، كل كائن محدود، في الواقع في طور التكوين .كما ترى، في الحركة الجدلية الأولى في المنطق، فإن مفهوم الوجود، في تلك التصنيفات، هو تجريد محض، إذا كنت تعني بذلك الثبات .إن عملية العدم هي تجريد محض.

تنتقل من تلك المفاهيم المجردة إلى المفهوم الأكثر واقعية، وهو الصيرورة .وكلما كان المفهوم أكثر واقعية، كان فهمه أفضل .ولا يتضح لك جوهر الوجود إلا عندما يتسع مفهوم الوجود ويتجلى في توليفة شاملة

،عظيمة، فتدرك حينها حقيقة الوجود في أبهى صورها، أي الروح المطلقة، العليمة بكل شيء، الحرة تمامًا .ذات السيادة المطلقة

هيجل مطلق .لذا، عندما يقول إن التناقض هو المبدأ المحرك للعالم، فهو لا يعني أن العالم مليء .بالتناقضات؛ بل إن القضايا المتناقضة ذاتيًا صحيحة .كلا

هو ببساطة يقول إن الأمور تتغير في مسيرة التاريخ .هل يُضفي ذلك طابعًا نسبيًا على كل شيء؟ هل يُضفي .طابعًا نسبيًا على الأخلاق؟ ليس عند هيغل .ليس عند هيغل

سنرى السبب .حسنًا، هل تريد التوقف هنا والتفكير؟ ستيف؟ أجل، أنا سعيد لأنك أثرت هذه النقطة .سأزيل .هذا إذا أردتَ ذلك مجددًا، مثلًا

،لكنني سعيدٌ لأنك أثرتَ هذه النقطة يا ستيف، لأنه بالفعل كذلك، وأردتُ توضيحها .لدينا، حسنًا ، في الواقع .على جدول المنطق هذا، دعنا نرى .أين هو؟ لا، أعتقد، أجل

في المنطق، هناك ثلاثة مفاهيم :المفهوم، والموضوع، ومفهوم أولي مباشر .في هذه المرحلة من شرح التصنيفات، يشير إلى أن المفاهيم -وهنا ثلاثية أخرى- يمكن أن تكون كلية ، أو خاصة، أو فردية .وهذا ما .نعرفه بالفعل في المنطق العادي

.عام .كل البشر فانون .خاص

.بعض الناس كاذبون .فرد .سقراط بشر فانٍ

حسنًا .على المستوى الفردي .الآن، ما يفعله هو الإشارة إلى أن المفهوم العالمي، الذي قد تتوصل إليه، هو .مجرد تجريد

إنها فكرة مجردة، وهذه هي الطريقة التقليدية للتعبير عنها .إنها فكرة مجردة .لا توجد قيم كلية حقيقية .تسري بشكل منفصل في عالم مثالي أفلاطوني

كما ترى، إنه فكر مجرد .من جهة أخرى، هناك مفهوم الجزئيات، تلك الجزئيات المنفصلة والمعزولة، ذات ،الطابع الذري، كما في فكر جون لوك وديكارت وغيرهما، تلك الذرات الفكرية الصغيرة على طريقة لوكريتوس .دون أي ترابط جوهري مع أي شيء آخر .هذا تجريد آخر يتناقض مع التجريد الأول

الفرضية، نقيضها .الواقع، بشكل ملموس، ليس عالميًا بهذا المعنى ولا خاصًا بهذا المعنى .أنت لست جزيرة .معزولة

،لا أحد يعيش بمعزل عن الآخرين .أترى ؟ نحن ما نحن عليه في علاقتنا بكل ما يحيط بنا .لذا، فإن الفرد الفرد الحقيقي، كما ترى، هو ما هو عليه بفضل كل شيء، كل علاقة ساهمت في تكوين شخصية ستيف، وكل .ما سينبثق عنه، والأحداث التاريخية التي ستُشكّله، كما ترى، كل ذلك، تلك العلاقة هي ما يُحدد هويتك

أترى ؟ ما تفعله كفرد، وما نفعله جميعًا كأفراد، هو تجسيد الإمكانيات الكونية .والكونية ببساطة هي .إمكانيات مجردة .أترى ؟ وما نفعله هو تجسيد تلك الإمكانيات المجردة، وتحقيقها، وتفعيلها

كما ترى، كان للتاريخ برمته تأثيرٌ متزايدٌ ، يتزايد تدريجيًا، ويقترب أكثر فأكثر من أن يُثمر لصالح ستيف شونولتز .والآن، ها هو قد ظهر .أترى ؟ من الواضح أن شخصية تاريخية عالمية مثل نابليون تختلف اختلافًا شاسعًا.

.أو ونستون تشرشل .غورباتشوف .أترى ؟ لكن بالنسبة لكل واحد منا، هذا هو نفس الشيء

من كنت ستكون لولا تلك الدببة الأربعة التي اجتمعت؟ من كنت سأكون لو تزوج أبي الفتاة الأخرى التي كان ،يواعدها أولاً؟ كيف تعرف متى يحين وقت الظهور؟ حسنًا، يبدو أنك تقصد نقطة ثابتة .الظهور عملية .وتستغرق وقتًا طويلاً

،لا، في الواقع، لو أردتُ رسمه بدقة، تذكر أن الرسم التخطيطي هو تجريد أيضاً .سينساب أحدهما إلى الآخر .كما ترى .بلا توقف

.لا توقف .تغيير في العملية .إذن، هكذا يتعامل مع نظرية الكليات يا ستيف

هل توجد مفاهيم أو قيم كلية مجردة؟ نعم .هل توجد إمكانيات كلية حقيقية؟ نعم .هل توجد قيم كلية .حقيقية؟ حسناً، فقط عندما تتجسد في الأفراد

يُركّب الفرد، كما ترى، هذه المتناقضات بين الشمولية والخصوصية .إن تجسيد الشمولية يعني تحقيق الإمكانيات بطرق محددة .لذا، فإن نظريته حول الشموليات هي :لا، لا توجد شموليات أفلاطونية، بل توجد .شموليات متجسدة

.تجسيد الكليات .وهو ما يُعدّ صدىً لأرسطو بطريقة أخرى .ريان

لو أخذنا هذا إلى مستوى الذرات، فهل سيكون الأمر كما تصوره لايبنتز؟ إنها متأثرة، أشبه بالانعكاسات .لكنها .ليست بلا نوافذ .كلا

كما ترى، كان النموذج الذري في القرن السابع عشر قائماً على فكرة وجود كريات من المادة غير قابلة للتجزئة ولا تربطها علاقة جوهرية بأي كريات أخرى .وقد رفض لايبنتز هذا النموذج .فهو ينظر إلى وحدات القوة .الفردية

.بلا نوافذ، دون أي علاقة سببية جوهرية بأي شيء آخر .وهذا ما لا يريده هيغل .فالعملية قائمة على الترابط

أجل .فكّر في الأمر كعملية بيولوجية .ما الفرق بين وحدة الوجود عند هيغل ووحدة الوجود عند بارمنيدس؟ .لذا، كما تعلم، لديّ بعض التحفظات على بارمنيدس

حسنًا، نعم، تذكر أن القضية الأساسية، أو الفكرة الرئيسية، بالنسبة لبارمنيدس هي وجود طريق للحقيقة .وطريق للوهم .الآن، هيجل لا يصف الفردية بالوهم، ولا يصف التغيير بالوهم

أترى ؟ إن شئت، فقد جمع بين مفهومي الثبات والتغيير .ما هو الثبات؟ ما هو الدائم؟ الشكل ، البنية .العقل .في التاريخ

.التطور الإبداعي للمفهوم، والفهم الذاتي للمطلق .أجل .بنية العملية موجودة

،لكن، كلا، هذا لا يعني أن بارمنيدس يقول إن الأفراد وهم .في الوقت نفسه، عندما نتناول فلسفته الاجتماعية .سنبدأ في ملاحظة أن الفكر الهيغلي كان يميل إلى توليد فكر سياسي محافظ .ويمكنك أن تفهم السبب

الفكر السياسي المحافظ، الذي ينظر إلى الدولة على أنها أكثر أهمية مما نسميه الفرد .كانت الفاشية الإيطالية نوعًا من الفلسفة السياسية الهيغلية الجديدة .وكان فيلسوف الفاشية الإيطالية رجلاً يُدعى جيوفاني .جنتيلي، الذي شغل منصب وزير التعليم في عهد موسوليني لفترة من الزمن

.وكان فيلسوفًا هيغليًا .هيغليًا جديدًا .والآن، لا تساوي بين الفاشية والنازية

.من الناحية الفلسفية، هذا يُسبب التفكك .يُسبب التفكك .لكن هذا هو الاتجاه السائد

وفي أشكالٍ أكثر سخرية، تظهر في بريطانيا أفكار سياسية محافظة .فقد وفرت الهيغلية إطارًا فلسفيًا لأنواع .معينة من المحافظة السياسية هناك، مع التركيز على أخذ المرء مكانه في المجتمع وأداء واجبه

سنتحدث لاحقًا عن إف إتش برادلي، الفيلسوف البريطاني، صاحب مقال كلاسيكي في الأخلاق بعنوان "موقعي .وواجبي ."وإذا نطقته بلكنة إنجليزية واضحة، ستفهم المغزى .موقعي وواجبي

كما تعلم، ستفهم فكرة الشخص ومكانته في المجتمع، ومعرفته بمكانته ومسؤولياته المترتبة على ذلك .أمرٌ .غير معروف في المجتمع الأمريكي بتقلباته .حسنًا، لنرَ

ألقِ نظرة على المخطط التفصيلي للمنطق، في ضوء هذا .ولاحظ الثلاثيات في جميع أنحاء المخطط .لا .يمكنك أن تخطئها

إذا كنت تعتقد أن الجودة والكمية مفهومان متناقضان، فهما كذلك بالفعل إلى أن تُدمجهما في مقاييس .ملموسة .هذا ما ستراه

ستجد أن ستامبف يتحدث عن الوجود ، واللاوجود، والتحول إلى عمل تجاري .ولاحظ، في جوهر الأمر، أن .المفهوم الأولي هو مفهوم أساس الوجود .هذا مفهوم نظري

أن يكون الشيء على حقيقته، بهويته الخاصة، هو ما تسعى إليه .على النقيض من المظهر الخارجي، الذي هو .نقيضه .كما ترى

ثم نصل إلى الواقع الملموس .لا نتحدث ببساطة عن الجوهر في الواقع أو العمليات السببية، بل عن التبادلية .داخل كل عضوي، وعن ترابط الأشياء داخل الكائن الحي .حسناً

حيث ترى، نعم، عند الحديث عن موضوع ما، لديك مفهوم ، begriff لكن بشكل أكثر تحديدًا، مفهوم ،الموضوع، ثم الحكم، ثم القياس المنطقي .حسنًا، قد تقول، هذا هو هيكل المنطق التقليدي .نعم، أفكار .وأحكام، وقياسات منطقية

بالتأكيد، هذه هي الطريقة الأكثر تجريداً للتفكير .إنها تجريد .أما النقيض فهو عندما لا تنظر إلى الموضوع .بهذه الطريقة، بل إلى الأشياء، إن شئت، إلى التجربة المجردة بشكل تجريبي

،لكن عليك أن تجمع بين البنى المنطقية والموضوع لفهم الفكرة والمفهوم .أما ما لديك تحت مظلة المنطق .كما ذكرت، فهو مجرد تصنيفات، أي بنى فكرية

هذا كل شيء .هياكل فكرية تنطبق على الواقع، هياكل ثابتة .وعندما ندخل في عالم الطبيعة، نلاحظ أنه .يتعامل مع التجريد أولاً، أي قوانين الطبيعة، وهي تجريدات معممة

قوانين الطبيعة .في سياق الآلية، يُقصد بها آليات السبب والنتيجة .إذن، ما يندرج تحت ذلك المفهوم الأول . المتعلق بالمكان والزمان والحركة والمادة وآليات السبب والنتيجة هو العلم الميكانيكي

لكن بعد ذلك، نتجاوز تجريدات العلوم الميكانيكية إلى التفاعل الفعلي للقوى، وعندها يصبح علم الكيمياء علماً قائماً بذاته .نرى هنا تفاعلات، لا مجرد علاقات سبب ونتيجة أحادية الاتجاه كما في الميكانيكا، بل .علاقة سببية متبادلة .لكن المفهوم البيولوجي هو ما بدأ يتبلور فعلاً

الكائن الحي، النموذج العضوي .وهنا يرى فكرة الغائية تتبلور ، لأن العمليات البيولوجية موجهة نحو غاية . محددة

.النمو بهدف إنتاج الثمار .العملية البيولوجية .وهكذا يعود إلى المستوى الغائي

.لكنها عملية غائية من البداية إلى النهاية .حسنًا .في المرة القادمة سنتناول القسم المتعلق بالعقل والروح

لنأخذ هذا بعين الاعتبار .تذكر أننا نُذكّر أنفسنا باستمرار بوجود أقطاب متناقضة .هل لدينا خمس دقائق؟ .لا، ليس لدينا

. لقد زال .لكن هناك ثنائيات مثل الذات والموضوع، والكلي والجزئي

. المظهر والحقيقة .المثالي والواقعي .هذه الثنائيات المتناقضة هي نقيض يجب علينا تجاوزه

لهذا السبب، وبالعودة إلى سؤالك، كيف لنا أن نعرف أن العقلاني هو الحقيقي؟ أترى ؟ إذا كان الفرق بين المظهر والحقيقة هو التجريد، فإننا نعتبر المظاهر المباشرة حقيقية .إلى حد ما .فالمظاهر ، أي الظهور .الأول لشيء ما، والإدراك المباشر له، تمنحنا إدراكًا للواقع، ولكن بتصور غير كامل

وهكذا، فإن المعرفة مسألة نسبية، وكذلك الفهم .أليس هذا هو الحال عند محاولة اكتساب فهم نظري لأي .شيء؟ ولكن حتى وإن كنا نعرف جزئياً، فإننا لا نزال نعرف الجزء الذي نعرفه

،ولهذا السبب، فإنّ معظم التصورات تُقيّم بنعم ولا، نعم في هذا الجانب، ولا في جوانب أخرى .حسنًا .سنكمل في المرة القادمة